نِعْمَةُ الظِّلِّ

الْخُطْبَةُ الْأُولَى:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الظِّلَّ بِقُدْرَتِهِ، وَمَدَّهُ بِرَحْمَتِهِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَمَنْ تَبِعَ هَدْيَهُ مِنْ بَعْدِهِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَأُوصِيكُمْ **عِبَادَ اللَّهِ** وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ، فَإِنَّهَا سَبَبٌ لِلْفَوْزِ بِالْجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا، وَهَنَائِهَا وَظِلِّهَا، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ**﴾[1].

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ: نِعْمَةٌ لَا تَسْتَقِيمُ الْحَيَاةُ بِدُونِهَا، وَلَا بُدَّ لِلْكَائِنَاتِ مِنْهَا، إِنَّهَا نِعْمَةُ الظِّلِّ، تِلْكُمُ الرَّحْمَةُ الرَّبَّانِيَّةُ، الَّتِي سَخَّرَهَا اللَّهُ لِخَلْقِهِ، وَرَبَطَ بِهَا بَعْضَ عِبَادَاتِهِ، وَجَعَلَهَا آيَةً مِنْ آيَاتِ كَرَمِهِ وَلُطْفِهِ، قَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا* ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا**﴾[2].

فَلْنَتَأَمَّلْ جَمِيعًا كَيْفَ يَنْشُرُ رَبُّنَا الظِّلَّ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ بِلُطْفِهِ، ثُمَّ يَقْبِضُهُ نَهَارًا بِوَهَجِ شَمْسِهِ[3]، فَيَا لَعَظَمَتِهِ وَبَدِيعِ حِكْمَتِهِ! وَيَا لَسَعَةِ فَضْلِهِ وَوَاسِعِ رَحْمَتِهِ! وَلْيَسْأَلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا نَفْسَهُ: لَوْلَا وُجُودُ هَذِهِ النِّعْمَةِ؛ كَيْفَ سَتَكُونُ حَيَاتُهُ؟ كَيْفَ سَيُنْجِزُ عَمَلَهُ؟ كَيْفَ سَيُوَاصِلُ

دِرَاسَتَهُ؟ كَيْفَ سَيَجِدُ رَاحَتَهُ؟ لِيُدْرِكَ أَنَّهُ لَا يَسْتَوِي وُجُودُ هَذِهِ النِّعْمَةِ وَفَقْدُهَا، وَمَا يَسْتَوِي ﴿**الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ**﴾(٤). فَسُبْحَانَ مَنْ بِرَأْفَتِهِ سَخَّرَ لَنَا مَا يَقِينَا مِنَ الْحَرِّ وَلَهِيبِهِ، وَهَيَّأَ لَنَا مَا نَسْتَظِلُّ بِهِ؛ مِنْ بُيُوتٍ عَامِرَةٍ، وَبِنَايَاتٍ شَامِخَةٍ، وَأَشْجَارٍ وَارِفَةٍ، أَلَمْ تَسْمَعُوا قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ: ﴿**وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا**﴾(٥)، يَأْوِي الْكُلُّ إِلَيْهَا، وَلَا يَسْتَغْنِي أَحَدٌ عَنْهَا، فَهَذَا نَبِيُّ اللَّهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، سَقَى لِلْمَرْأَتَيْنِ، ﴿**ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ**﴾(٦)، وَهَذَا نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ: كَانَ كَثِيرًا مَا يَأْوِي هُوَ وَأَصْحَابُهُ فِي السَّفَرِ إِلَى ظِلِّ الشَّجَرِ، اتِّقَاءً لِلْحَرِّ(٧).

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ مِنْ حُقُوقِ نِعْمَةِ الظِّلِّ عَلَيْنَا أَلَّا نُفْسِدَهَا، فَقَدْ حَذَّرَنَا النَّبِيُّ ﷺ مِنَ التَّعَدِّي عَلَيْهَا، فَقَالَ: «**اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثَّلَاثَةَ**» وَذَكَرَ مِنْهَا إِفْسَادَ «**الظِّلِّ**»(٨). وَنَهَى ﷺ عَنْ قَطْعِ النَّافِعِ مِنَ الْأَشْجَارِ لِغَيْرِ ضَرُورَةٍ، وَتَوَعَّدَ قَاطِعَهَا بِعِقَابِ اللَّهِ الشَّدِيدِ فِي الْآخِرَةِ(٩). وَمِنْ حَقِّ نِعْمَةِ الظِّلِّ: أَنْ نَسْتَكْثِرَ مِنْ أَسْبَابِهَا، وَنُسْهِمَ فِي تَوْفِيرِهَا؛ بِشَجَرَةٍ نَزْرَعُهَا، أَوْ مِظَلَّةٍ فِي مَسْجِدٍ نُوَفِّرُهَا، فَذَلِكَ مِنَ الصَّدَقَاتِ الْجَارِيَةِ، وَالْأَوْقَافِ الْمُعْتَبَرَةِ، الَّتِي يَنَالُ الْمَرْءُ أَجْرَهَا. ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾(١٠).

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَقَّ حَمْدِهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَمَنِ اتَّبَعَ هَدْيَهُ مِنْ بَعْدِهِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ: إِذَا كَانَ الظِّلُّ فِي الدُّنْيَا نِعْمَةً وَرَاحَةً، فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ رِضًا وَكَرَامَةً، فَإِنَّ أَعْظَمَ ظِلٍّ يَسْتَظِلُّ بِهِ الْإِنْسَانُ؛ هُوَ ظِلُّ عَرْشِ الرَّحْمَنِ، قَالَ نَبِيُّنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا؛ حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا صَنَعَتْ يَمِينُهُ**»[١١]. تَأْتِي تِلْكَ الصَّدَقَةُ شَاهِدَةً عَلَيْهِ، مُسْبِلَةً ظِلَّهَا عَلَيْهِ، مِصْدَاقًا لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ، حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ**»[١٢]، فَإِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، نَعِمُوا بِامْتِدَادِ ظِلِّ أَشْجَارِهَا، الَّتِي قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي وَصْفِهَا: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً، يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ، لَا يَقْطَعُهَا**»، وَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿**وَظِلٍّ مَمْدُودٍ**﴾[١٣]. فَاللَّهُمَّ أَظِلَّنَا بِظِلِّكَ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّكَ، وَصَلِّ يَا رَبَّنَا وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَنَبِيِّكَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ

وَالتَّابِعِينَ، وارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ الْأَكْرَمِينَ. اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا بِكَ مُؤْمِنِينَ، وَلَكَ عَابِدِينَ، وَإِلَيْكَ مُنِيبِينَ، وَلِنِعْمَةِ الظِّلِّ مُقَدِّرِينَ، وَبِوَالِدِينَا بَارِّينَ، وَارْحَمْهُمْ كَمَا رَبَّوْنَا صِغَارًا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِكُلِّ مَنْ وَقَفَ لَكَ وَقْفًا ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ، وَطَلَبًا لِجَنَّاتِكَ، وَتَقَبَّلْ صَدَقَتَهُ، وَأَخْلِفْ عَلَيْهِ نَفَقَتَهُ.

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِلْإِسْهَامِ فِيمَا يَعُودُ بِالظِّلِّ عَلَى خَلْقِكَ، مِنْ غَرْسِ الْأَشْجَارِ فِي أَرْضِكَ، وَبِنَاءِ الْمِظَلَّاتِ لِرُوَّادِ بَيْتِكَ، وَتَقَبَّلْ مِنَّا صَالِحَ الْأَعْمَالِ بِمَنِّكَ وَكَرَمِكَ. **اللَّهُمَّ أَدِمْ عَلَى دَوْلَةِ الْإِمَارَاتِ الِاسْتِقْرَارَ، وَالرُّقِيَّ وَالِازْدِهَارَ، وَأَتِمَّ اللَّهُمَّ الْعَافِيَةَ عَلَيْنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي أَرْزَاقِنَا، وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا. اللَّهُمَّ وَفِّقْ رَئِيسَ الدَّوْلَةِ، الشَّيْخَ مُحَمَّد بن زَايد، وَنُوَّابَهُ وَإِخْوَانَهُ حُكَّامَ الْإِمَارَاتِ، وَوَلِيَّ عَهْدِهِ الْأَمِينَ؛ لِمَا تُحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ. اللَّهُمَّ ارْحَمِ الشَّيْخَ زَايد، وَالشَّيْخَ رَاشِد، وَالْقَادَةَ الْمُؤَسِّسِينَ، وَأَدْخِلْهُمْ بِفَضْلِكَ فَسِيحَ جَنَّاتِكَ، وَاشْمَلْ شُهَدَاءَ الْوَطَنِ بِرَحْمَتِكَ وَغُفْرَانِكَ.** اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ: الْأَحْيَاءَ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتَ.

﴿**رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾(١٤).

عِبَادَ اللَّهِ: اذْكُرُوا اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِهِ يَزِدْكُمْ. وَأَقِمِ الصَّلَاةَ.

(١) المرسلات: ٤١.
(٢) الفرقان: ٤٥ -٤٦.
(٣) تفسير ابن كثير: ١١٤/٦، وتفسير الخازن: ٣١٥/٣.
(٤) فاطر: ٢١.
(٥) النحل: ٨١.
(٦) القصص: ٢٤.
(٧) أحمد: ٢٣٧١٦.
(٨) أبو داود: ٢٦.
(٩) أبو داود: ٥٢٣٩. ونصه: قَالَ ﷺ: «**مَنْ قَطَعَ سِدْرَةً صَوَّبَ اللهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ**» يَعْنِي: هَذَا عِقَابُ مَنْ قَطَعَ سِدْرَةً فِي فَلَاةٍ، يَسْتَظِلُّ بِهَا ابْنُ السَّبِيلِ وَالْبَهَائِمُ، عَبَثًا وَظُلْمًا.
(١٠) النساء: ٥٩.
(١١) متفق عليه.
(١٢) أحمد: ١٧٣٣٣.
(١٣) البخاري: ٣٠٨٠، والآية من سورة الواقعة: ٣٠.
(١٤) البقرة: ٢٠١.